

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١٧٤ : خ ١ - المعاني الدقيقة للحج ، خ ٢ - القلب .  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٧-٠٦-١٩

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى :

الحمد لله ثم الحمد لله ، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وما توفيقي ولا اعتصامي ولا توكلي إلا على الله .  
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر .  
وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ، رسول الله سيد الخلق والبشر ، ما اتصلت عينٌ بنظرٍ أو سمعت أذنٌ بخبر .  
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين .

### تمهيد :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ فيما يناجي سيدنا داود ربّه قال :

(( إلهي ما حقُّ عبادك عليك إذا هم زاروك ؟ فإن لكل زائرٍ على المزور حقا ))

قال :

(( يا داود فإن لهم عليّ أن أعافيتهم في دنياهم ، وأن أغفر لهم إذا لقيتهم ))

ويا أيها الإخوة المؤمنون ؛ ورد في بعض الأثر ، أن النبي عليه الصلاة والسلام يقول :

(( أما خروجك من بيتك . أيها الحاج . تؤم البيت الحرام ، فإن لكل بكل وطأةٍ تطأها راحتك يكتب الله لك بها حسنة ، ويمحو عنك بها سيئة .

وأما وقوفك بعرفة فإن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول : هؤلاء عبادي جاؤوني شُغْراً غبراً من كل فجٍ عميق ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ، ولم يروني فكيف لو رأوني ؟! .

فلو كان عليك مثل رمل عالجٍ ، ومثل أيام الدنيا ، ومثل قَطْر السماء ذنوياً غسَلها الله عنك .

وأما رميك الجمار فلك بكل حصاةٍ رميتها تكفيرة كبيرة .

وأما نحرك فمدخّر لك عند ربك .

وأما حلقك رأسك فإنه مدخورٌ لك بكل شعرٍ تسقط حسنة ، فإذا طُفَّت البيت خرجت من ذنوبك كيوم

ولدتك أمك ))

[ زيادة الجامع الصغير والدرر المنتثرة ]

## الإسلام : عبادات ومعاملات وحدود .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في الإسلام عبادات ، ومعاملات ، وحدود .  
فالعبادات : تحدد علاقة الإنسان بربه .  
والمعاملات : تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان .  
والحدود : تضمن سلامة المجتمع من أن يعتدى على الدين ، وعلى العقل ، وعلى المال ، وعلى النفس ، وعلى العرض .

## العبادات :

العبادات أيها الإخوة جوهرها الاتصال بالله عزَّ وجل ، لأن النفس إذا اتصلت بربها تطهَّرت من كل خُبثٍ ، من كل شهوةٍ ، من كل دناءةٍ ، من كل انحرافٍ ، من كل صفةٍ مذمومةٍ ، من كل هبوطٍ ، من كل أنانيةٍ .



جوهر العبادات الاتصال بالله عزَّ وجل ، لذلك كانت الصلاة عبادةً يوميةً ، يؤديها الإنسان في كل يومٍ خمس مرات ، وهناك عبادةً سنويةً يؤديها المؤمن في العام مرة وهي الصيام ، وأما الحج فهو عبادة العمر تؤدَّى في العمر كله مرةً واحدةً ، على سبيل الفرض .

## المعاني الدقيقة للحج :

يا أيها الإخوة المؤمنون ؛ للحج معانٍ كبيرة ، وحكَمٌ عظيمة . من معاني الحج :  
أنك إذا ذهبت إلى الديار المقدَّسة خلعت عنك كل الأفتنة المُرَبِّفة .

الإنسان في بلده قد يكون ذا بحبوحَةٍ ، فتوافر المال بين يديه قناعٌ مزيفٌ يُنسيه مصيره في الآخرة .  
 قد يكون ذا شأنٍ وجاهٍ ، شأنه وجاهه في الدنيا قناعٌ مزيفٌ ، يحجُّبه عن مصيره في الآخرة .  
 قد يكون ذا عزوةٍ وذا مكانةٍ .

إنه إذا سافر حاجاً ومعتماً إلى البلاد  
 المقدسة ، فإن الناس هناك سواسيةٌ  
 كأسنان المشط ، لا فرق بين غنيهم  
 وفقيرهم ، ولا بين قويهم وضعيفهم ، ولا  
 بين صحيحهم ومريضهم ، كلهم على  
 صعيدٍ واحد ، كلهم يرتدي ثياباً موحدةً ،  
 غير مخططة ، ليعرف الإنسان مصيره ،  
 لا بدَّ من أن يخلع عنه الثياب الأنيفة ،  
 لا بدَّ من أن ينخلع من مكانته



الاجتماعية ، لا بدَّ من تذهب عنه أمواله الطائلة ، يذهب إلى هناك ليعود إلى حجه الحقيقي ،  
 ليعود فرداً ، الله سبحانه وتعالى جعل تلك البلاد . التي نَحُجُّ إليها . كما وصفها :

### ﴿ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾

[ سورة إبراهيم الآية : ٣٧ ]

لو أن هذه البلاد كانت بلاداً جميلة ؛ حيث الجبال الخُضْرُ ، والمياه العذبة ، والسواحل الجميلة  
 لذهب الناس إليها سائحين ، ولاختلط السائح بالحاج ، ولكن هذه البلاد التي فرض الله علينا الحج  
 إليها ؛ بلادٌ حارّة ، فاحلة ، لا نبات فيها ، يذهب الحاج إليها ولا يبتغ إلا وجه الله سبحانه وتعالى ،  
 لا يبتغ إلا ابتغاء رضوانه .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ كأن الإنسان إذا حجَّ البيت عرف حجه الحقيقي ، أفتنةٌ كثيرة ، كثيرةٌ كثيرة  
 ، تحجب عنه الحقائق وهو في بلده ؛ المال قناع ، وهو حجاب ، والمكانة الاجتماعية حجاب ،  
 والزوجة والأهل حجاب ، وتوافر حاجاته حجاب ، وبيته المريح حجاب يحجبه عن مصيره ، لكنك  
 إذا ذهبت البيت الحرام ، ورأيت نفسك واحداً من الناس ؛ لا فضل لك عليهم ، لا في ملابس ، ولا في  
 مأوى ، ولا في شيءٍ من هذا القبيل ، عندئذٍ تعرف كيف أن الله سبحانه وتعالى سيجمع عباده يوم  
 الحشر ، ويقفوا على صعيدٍ واحد ، ليحاسبهم عن أعمالهم كلها، صغيرها وكبيرها ، جليلها وحقيقتها .  
 أيها الإخوة المؤمنون ؛ هذا معنى من معاني الحج ؛ أن يعرف الإنسان حقيقته ، أن يعرف الإنسان  
 ضعفه ، أن يعرف الإنسان مصيره ، أن تزول عنه هذه الحُجُب التي تحجب عنه الحقائق ، هذا  
 معنى من معاني الحج .

والمعنى الآخر : أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان ، ومع كل إنسان ، ولكنه نَسَبَ الكعبة إلى ذاته فقال :

**(( هذه بيتي ، فمن أرادني فليزرنني في بيتي ))**

إنك إذا تجشمت مشاق السفر ، ودفعت النفقات الباهظة ، من أجل أن تزور الله في بيته ، الحُجَّاج والعمَّار كما قال عليه الصلاة والسلام :

**(( وفد الله .. ضيوف الرحمن .. زوار بيته الحرام ))**

إنك إذا توجَّهت إلى الكعبة المشرفة لتحتج البيت فكأنما ذهبت إلى الله عزَّ وجل ..

﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ ﴾

[ سورة الصافات الآية : ٩٩ ]

كما قال سيدنا إبراهيم ..

﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّهْدِينِ ﴾

[ سورة الصافات الآية : ٩٩ ]

سياحةً روحيةً ..

﴿ فَفَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾

[ سورة الذاريات الآية : ٥٠ ]

إنك إذا ذهبت إليه ، وقطعت كل العائق التي تحول بينك وبينه ، إنك إذا ذهبت إليه ، وتركت الزوجة والولد ، إنك إذا ذهبت إليه ، وتركت البيت المريح لتنام تحت خيمةٍ قد لا تستريح بها ، إنك إذا ذهبت إليه ، مُنَعَتَ من أن ترتدي الثياب المخيطة ، وأن تستخدم بعض المباحات التي أبيحت لك في بلدك ؛ منعت من قص أطرافك ، منعت من حلق شعرك ، منعت من التطيب لتعرف خشونة الحياة ، ومُنْقَلَبَ الإنسان إلى الدار الآخرة .

معنى آخر من معاني الحج : أنك ذاهبٌ إلى الله عزَّ وجل .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ربما طَعَتَ المشكلات ، ربما طغت المشاغل ، وتمكَّنَ الحرص ، وتوجَّهت النفس إلى الدنيا ؛ تبحث فيها عن راحتها ، وتستكمل منها زينتها ، وزخرفها ، فترى هذا العبد الذي شُغِلَ بالدنيا ؛ فكانت أكبر همه ، ومبلغ علمه ، يحافظ على الصلاة شكلاً لا مضموناً ، يحافظ على أدائها وينسى حقيقتها ، يحافظ على ركوعها وسجودها وقلبه ساهٍ ولاهٍ ، يحافظ على سننِّها ويجهل حكمتها ، إلى أن تصبح الصلاة نوعاً من العادة يؤدِّيها كل يوم ولا يفقه حكمتها ، عندئذٍ يأتي الحج لينزعه من بين أهله ، يأتي الحجُّ لينزعه من أهله وولده ، وعمله وتجاره ، من قصره ومن أصدقائه ، وأحبابه ، من حفلاته وأسماره ، من مظهره الأنيق ، يأتي الحج ليضعه في حجمه الحقيقي ، كأن الله سبحانه وتعالى يقول : يا عبدي خَلَّ الدنيا وتعالَى إليَّ ، خَلَّ همومك وتعالَى إلي . لذلك يقول العبد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والمُلْكُ لك لا شريك لك .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ تعالَ يا عبيد لأريحك من همومِ كالجبال تجنُّم على صدرك ، تعالَ لأطهرُك من شهواتٍ تنغصص حياتك ، تعالَ وذُقْ طعم محبتي ، تعالَ وذُقْ حلاوة مناجاتي ، يقول العبد : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلْك لا شريك لك .  
تعال لأريك من آياتي الباهرات ، تعال لأريك ملكوت الأرض والسماوات ، تعال لأعمر قلبك بنوري الذي أشرقت له الظلمات ، لأملأ نفسك غنىً ورضىً ، تعال لأخرجك من ظلمات الشهوات إلى أنوار الطاعات ، تعال لأنقلك من دنياك المحدودة وعملك الرتيب إلى آفاق معرفتي . فيقول الحاج : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والمُلْك لا شريك لك .



أيها الإخوة المؤمنون ؛ كما قلت لكم :  
حكمة الحج كامنة في أنه ذهابٌ إلى الله عز وجل ، فإذا ذهبت إليه فحقَّ عليه أن يكرمك .  
( ( من توضع في بيته فأحسن الوضوء ، ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم الزائر ))

[ العهود المحمدية ]

كيف لو زرته في بيته الحرام ؛ حيث المسافات بعيدة ، والنفقات كثيرة ، والمشاقُّ عظيمة ؟ إذا زرته هناك فحقَّ عليه أن يكرمك ، وأن يطهرك ، وأن يغفر لك ، وأن تعود من ذنوبك كيوم ولدتك أمك .  
أيها الإخوة المؤمنون ؛ الحج عبادة العمر ، بها يرقى الإنسان من مرتبة العباد إلى مرتبة العلماء ، من مرتبة مدافعة التذني إلى مرتبة متابعة الترقى .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ أيها السادة الأعراف ؛ سيدنا عمر ، رضي الله عن عمر ، خطب خطبة استهلَّ بها عهد خلافته فقال : بلغني أن الناس قد هابوا شدتي ، وخافوا غلظتي ، وقالوا : كان عمر يشنُّدُ ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، ثم اشتدَّ علينا وأبو بكرٍ والينا ، فكيف وقد صارت الأمور إليه ؟ .

كان النبي عليه الصلاة والسلام لرحمته العظيمة ، ولحلمه الشديد يخفف من شدتي ، وكان أبو بكر الحليم عليه رضوان الله تعالى يخفف من شدته ، فكيف إذا صارت الأمور إليه ؟! قال سيدنا عمر : ألا من قال هذا فقد صدق ، فإنني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعونه وخادمه ، وكان عليه السلام من لا يبلغ أحدٌ صفته في اللين والرحمة ، وكان كما قال الله تعالى :

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾

[ سورة التوبة الآية : ١٢٨ ]

فكنت بين يديه سيفاً مسلولاً ، حتى يغمدي أو يدعني ، فأمضي ، فلم أزال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راضٍ ، الحمد لله على ذلك كثيرا ، وأنا به أسعد ، ثم ولي أمر المسلمين أبو بكرٍ ، فكان من لا تتكروا دَعْتَهُ ، وكرمه ، ولينه ، فكنت خادمه وعونه ، أخلط شدتي بليته ، فأكون سيفاً مسلولاً حتى يغمدي أو يدعني فأمضي ، فلم أزل معه كذلك ، حتى قبضه الله عزَّ وجل وهو عني راضٍ ، والحمد لله على ذلك كثيرا ، وأنا به أسعد . الآن . ثم إني قد وليت أموركم أيها الناس ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ... .

كان أبُّ وأم ؛ الأم رحمتها تغلب عليها ، والأب شدته تغلب عليه، فلما توقيت الأم ؛ يجب أن يأخذ الأب دور الأب والأم .

أيها الإخوة ؛ يقول سيدنا عمر : ... إني قد وليت أموركم ، فاعلموا أن تلك الشدة قد أضعفت ، ولكنها إنما تكون على أهل الظلم والتعدي ، فأما أهل السلامة والدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض . أهل الظلم والتعدي أنا شديدٌ عليهم ، أما أهل الدين والقصد فأنا ألين لهم من بعضهم لبعض . ولست أدع أحداً يظلم أحداً ، أو يعتدي عليه ، حتى أضع خذَه على الأرض حتى يُدعِن ، وإني بعد شدتي تلك أضع خذي على الأرض لأهل العفاف، وأهل الكفاف ، وأهل التقى والصلاح ، ولكم عليَّ أيها الناس خصالٌ أذكرها لكم فخذوني بها . أي حاسبوني عليها . لكم عليَّ ألا أجبي شيئاً من أموالكم إلا بالحق ، ولكم عليَّ إذا وقع في يدي من أموالكم شيء إلا أنفقه إلا بالحق ، ولكم عليَّ أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى ، ولكم علي أن أسدَّ ثغوركم . أي أن أحمي حدودكم . ولكم عليَّ ألا ألقاكم في المهالك ، وإذا غبتم في البعوث . أي في الجهاد . فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم ، فانتقوا الله وأعينوني على أنفسكم بكفها عني ، وأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وإحضار النصيحة فيما ولّاني الله من أمركم .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ سيدنا عمر رضي الله عنه كان يخرج إلى ظاهر المدينة ، ليتلقى الركبان ، ليسألهم عن أحوال البلاد ، التقى مرةً بأحد الركبان ، فسأله عن أحوال البلد التي جاء منها ، فقال هذا الرجل . ولا يعرف انه أمير المؤمنين . قال : رأيت فيها الظالم مقهوراً ، والمظلوم منصوراً ، والغني موفوراً ، والفقير مجبوراً ، والأمير مشكوراً ، وأعماله مبرورة . فوقع على الأرض ساجداً شكراً لله عزَّ وجل .

أيها الإخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطأنا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

**والحمد لله رب العالمين**

\*\*\*



## الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد ألا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد ، أن سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلّ وسلم وبارك على سيدنا محمداً وعلى آله وصحبه أجمعين .

## القلب :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ ما منا واحد ، إلا وبين جوانحه ، قلبٌ ينبض ، ولكننا قد نجهل حقيقة هذا القلب ، والدور الذي يؤديه ، والمجهود الكبير الذي يتحمّله .

إن القلب في بعض الإحصاءات الأخيرة : يضخُّ في الدقيقة الواحدة خمس لترات ، وهو في حالة استرخاء ، وهو نائم ، كل دقيقة ، انظر إلى الساعة ، عيّر دقيقةً واحدة ، اعلم أن القلب ، في نبضاته الثمانين يضخ خمس لترات ، قارورة الماء لتر ونصف ، فتقريباً ثلاث أو أربع قوارير من الماء ، الذي يباع معبأً ، هذا ما يضخُّه القلب ، في الدقيقة الواحدة .

لكن حينما يبذل الإنسان مجهوداً كبيراً ، في الركض والمشي ، يضخ القلب خمساً وعشرين لتراً في الدقيقة ، وعند بعض الرياضيين في أثناء بذل الجهد العالي ، يضخُّ القلب في الدقيقة أربعين لتراً ، ما هذه المضخة التي تتراوح استطاعتها ، بين خمس لترات ، وأربعين لتراً ؟ أي أنها تبذل عند الحاجة ثمانية أضعاف الطاقة .



أيها الإخوة الأكارم ؛ من منا يصدق أن القلب يضخُّ في اليوم الواحد ، عشرة آلاف لتر من الدم ، فالذي لديه مستودع للوقود السائل يتسع لمتر مكعب واحد ، أي خمسة براميل القلب يضخ في اليوم الواحد ، أي في الأربعة وعشرين ساعة عشرة آلاف لتر من الدم ، فإذا عنده عشرة مستودعات ، كل مستودع خمس براميل ، العشر مستودعات ، يضخها القلب في اليوم الواحد ، وأن ما يضخه القلب في العام ، ثلاث آلاف وستمئة طن من الدم .

شيء لا يصدق ، إنما يضخه القلب ، في اليوم الواحد يكفي لسحب قاطرة ، لو أن جهد القلب حوّل إلى استطاعة ، لكفى ، ما يبذله القلب في اليوم الواحد أن يسحب قاطرةً متراً واحداً .

هذا صنع الله ، القلب الذي يضخ ، يتحرك وينبض من الشهر الثالث ، والإنسان في رحم أمه ، ولا يتوقف ، ولا يتعب ، ولا يكل ، إلا حينما يقف الوقفة النهائية ، وعندها ينتهي أجل الإنسان . سبحان من خلق هذا العضو الذي يعد ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

(( أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ ))

[ صحيح البخاري ]

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت، وبارك اللهم لنا فيما أعطيت ، وقنا واصرف عنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك .  
اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا .  
واقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا بها جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، مولانا رب العالمين .  
اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، وآمننا في أوطاننا ، واجعل هذا البلد آمناً سخياً رخياً ، وسائر بلاد المسلمين .  
اللهم أعل كلمة الحق والدين ، وانصر الإسلام وأعز المسلمين ، وخذ بيد ولاتهم إلى ما تحب وترضى ، إنه على ما تشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

## والحمد لله رب العالمين